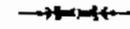


مرحات الإصلاح الإسلامية

## ٢- أزمة إسلامية

للدكتور علي حسن عبد القادر

دكتور في الفلسفة والعلوم الاجتماعية من جامعة براين  
ومدرس بكلية الشريعة



هكذا نرى أن للتشريع الإسلامي هو محور الدائرة التي تدور حولها حركات الإصلاح والتجديد في الإسلام ، والباب الذي ينفذ منه المصلحون لتجديد الحياة الإسلامية تجديداً عملياً ، وأن مسألة كون الإسلام قابلاً للإصلاح والتجديد والرجوع به شاباً قوياً إنما تقوم على مسألة أخرى : وهي هل من الممكن التخلص من أشكال قديمة جامدة في الفقه الإسلامي ؟

وإذا ما أردنا أن نحدد البحث تحديداً أدق لتتصرف العوامل الأولى التي أملى على المصلحين إصلاحهم وجرمهم إلى التفكير في ذلك فلا يسمننا في حدود المورخ الديني أن ننكر أن ذلك يرجع إلى الأصل المعروف « الإجماع » ذلك الأصل الذي صبغ للفقه الإسلامي بما لم يصبته به غيره ، ودعم به أهل السنة وجهات نظرهم تدعياً لم يقبل النقض . وهو في حقيقة الأمر الفتح الذي نفهم به تطورات الإسلام في علاقته المختلفة في العقائد والتشريع والسياسة ، فما قبلته الأمة حقاً وصدقاً فهو حق وصدق ، وما فلا ؛ ويكون صحيحاً فقط في الشكل الذي يعطيه له الإجماع ، حتى

ولما كان هو على غاية من التقوى ولم يسيء استعمال قوته قط ، فإنه بالغ بحول الله هذا العمر لا محالة . أما هو فماش في هذا الأمل اللطيف نحو تسعين سنة . ومن أخبار جده ، وهو معتقد بما يقول ويفعل ما حدث له مرة ، وهو يتنزه على شاطئ البحر مع صاحبه الشيخ طاهر ، وقد لحق بهما أحد الطلبة ، وكان هذا لا يخلو من جذب على ما يظهر . وبعد مضي أربع ساعات على اجتماعه إليهما التفت إلى الدكتور وقال له : يا سيدي الدكتور أرجو ألا يكون في حضوري ما يفتنك عليك خلوتك إلى الشيخ . فأجاب الدكتور بدون توقف : يا بني نحن لم نحس أنك معنا ، وإنما في شغل عنك نحن الآن ندير أمر ثلاثمائة مليون من المسلمين ، وهكذا كان وما شاء الله كان

محمد كرد علي

تفسير القرآن الكريم والسنة يكون صحيحاً منه ما يقبله إجماع الأمة ، وللمقائد - تلك التي خضعت لكفاح قاس في أول الأمر - أصبح موافقاً للدين منها ما ختم عليه الإجماع بخاتمه النهائي . وهؤلاء الرجال وهذه الكتب تعتبر إمامتها إذا اعتبر هذه الإمامة إجماع المسلمين . وهكذا نرى أن الإجماع قد لعب دوراً هاماً في الإسلام بما لم يقم به مبدأ مثله . ومن المعروف أن هذا الإجماع لم يأت نتيجة اجتماع منظم ، وإنما كانت دائرة أول الأمر الإحساس الجمعي والرأي العام وصوت الأمة

وقد حاول العلماء حده زماناً ومكاناً وأوردوه إلى إجماع الصحابة أو علماء السلف من أهل المدينة أو الحرمين ؛ ولكن هذه المحاولات شيء ومظاهرها المختلفة التي رأيت شيء آخر . وأهم من هذا هو أن الإجماع الذي حقق في الماضي قوة التماثل ومطابقة للمصر ليس بمبدأ أن يكون نواة قوة لمكافحة الجور والنفوذ الشخصي إذا ما استغل استقلالاً مرضياً وهو ما تركه للمستقبل .

وقد يظهر غريباً إذا قلنا إن عوامل التجديد قد أظهرتها وحدتها طريقة أهل السنة نفسها ، ذلك أن طريقة أصول للفقه إن تكن لا خلاف فيها في أوساط أهل السنة ، فقد وجد من العلماء المفكرين من لم يقبل البقاء بمبدأ عن دائرة الاجتهاد . وظهر له أن للتقليد والتمسك بذهب بينه أمر لا يحتمل ، وعند ذلك حدد هؤلاء العلماء من أول الأمر - شعروا أم لم يشعروا - دائرة هذا الأصل الخطير - أعنى أصل الإجماع - وضيقوا من نتائجه . فالإمام النزالي نادى بالاجتهاد وكثير ممن جاء بعده فعلوا ذلك أيضاً مثل ابن تيمية والسيوطي<sup>(١)</sup> . وقد استند المصلحون من ناحية أخرى في مناهضتهم للإجماع إلى أن تحديده بقي وقتاً طويلاً مجالاً للأخذ والرد حتى استطاع آخر الأمر أن يأخذ هذا المحيط الواسع الذي انتهى إليه<sup>(٢)</sup>

وقد جاهد الحنابلة من بين المذاهب الأربعة جهاداً كبيراً في سبيل الاجتهاد لأجل مصلحة السنة نفسها التي عرفوا بأحيائها . فابن تيمية وتلميذه ابن القيم استعملوا هذا السلاح ضد البدع الكثيرة المنتشرة<sup>(٣)</sup> . وقامت على هديهم وفي روحهم حركة

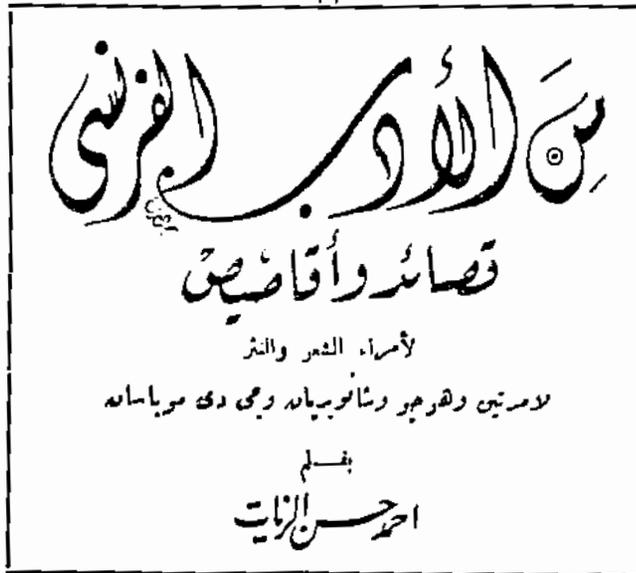
(١) S. Goldziter, Die Richtungen der islamischen Kor-  
nauslegung, p. 329, Anm. 3.

(٢) فار. على سبيل المثال : Khuda Bukhsh, Essays I indian  
and Islamic, S. 290.

(٣) فارن على الأخص مقال محمد بن شنب في دائرة المعارف الإسلامية

ومحاكمتهم ، قد أحدثت هذه الدعوة تذكيراً للمسلمين ومفكرتهم الذين لم يريدوا معاداة أي حركة إصلاحية في الإسلام ومن هنا نستطيع أن نقرر أن الحركة الوهابية كان لها أهمية كبيرة بعيدة الأثر في هذه الحركات الإصلاحية الإسلامية التي ظهرت أخيراً ، وإن يكن الاتصال بينها وبين هذه الحركات غير مباشر وغير واضح كل الوضوح . ومن هنا يجب أن نحسب لها حسابها في الكلام على هذه الحركات التي سنلم بها بعد إن شاء الله على حسن عهد القادر

صدر حديثاً كتاب :



يقع في زهاء ٣٠٠ صفحة  
وتنطه ١٥ قرشا ، ويطلب  
من إدارة الرسالة ومن  
جميع المكتبات الشهيرة .

الوهابية بجزيرة العرب أثناء القرن الثامن عشر الذين حاربوا البدع وأزواها من البلاد المقدسة ، وتعاليم محمد بن عبد الوهاب مؤسس هذه الحركة متفقة تماماً مع تعاليم ابن تيمية<sup>(١)</sup> ، فقد كان يدعو إلى التمسك بالدين في الشكل الذي كان عليه في حياة النبي وصحابته ، وكان غرضه الرجوع إلى الإسلام ، في الصدر الأول ، وذلك إنما يتم بالرجوع إلى الكتاب والسنة وحدهما . وإذا ما أتته خصومه بأنه مخالف للإجماع حدد سلطان الإجماع وحصره مخالفاً في ذلك جمهور أهل السنة . ولا يخفى أن هذه البدع التي حاربها بشدة وعدها كفرة كانت في الواقع مقبولة بإجماع المسلمين

وقد بلغت درجة الكفاح أشدها عند ما أتته ابن تيمية والوهابيون بأنهم خارجون عن الدين وعلى جماعة المسلمين وتعاليم أهل السنة السائدة<sup>(٢)</sup> ، ولكن الوهابيين وقفوا في مكانهم ثابتين متمسكين بذهب الإمام أحمد . وكما أن من الأيام قد خفف من الحكم على ابن تيمية ، فكذلك أخذ كثير من المسلمين بمد زوال الخطر الوهابي يغيرون من رأيهم في هؤلاء العرب المهاجرين

ولم تنته آثار حركة الوهابيين بسقوطهم للسياسي وهدم عاصمتهم الرياض سنة ١٨١٨ ، وذلك أن تعاليمهم وآراءهم بقيت منتشرة في الجزيرة العربية . وفي سنة ١٩٢٤ ضموا إليهم بلاد العرب وأصبح قائدهم الملك عبد العزيز بن سعود الزعيم المعترف به في البلاد المقدسة

وإذا كان رجوعهم لم يقابل بشدة كما قوبل به منذ مائة عام ، وإذا كانوا لم يرفضوا بقوة إزاء تيارات التجديد الحديث ، فإنهم مع ذلك لم يتركوا تعاليمهم ، وأصبح القول بخروجهم عن الدين غير موجود الآن عند جمهور أهل السنة

وأهم من هذا كله في هذه الكلمة الإجمالية ، هو أن هذه الحركة الوهابية أخذت تدب في أثناء القرن التاسع عشر إلى بلاد إسلامية أخرى ، وعلى الأخص بلاد الهند ومصر ، ومن بين كل هذا قد أحدثت دعوتهم بالرجوع إلى الإسلام الأصلي الخالص وترك البدع التي حدثت بعد ذلك ، والبعد عن تعقيدات الفقهاء

(١) راجع في هذا مجلة المستشرقين الألمانية جزء ٢٨ (١٩٢٤/٢٥)

صفحة ١٧٩ وما يليها

(٢) Goldziher, Vorlesungen, S. 294; 2. A. S. 277